الآداب
المجلد: 25، العدد: 01، ديسمبر 2025
الصفحات: 486 – 500
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

النص التراثي وإذكاء جمهور القرّاء: أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية لعبد الجبار السمرائي –دراسة نقدية–

The Traditional Text and the Stimulation of the Reading Public: The Influence of *One Thousand and One Nights* on European Literature by Abdul Jabbar Al-Samarrai – A Critical Study

د. جنادي زوليخة [1]

د. موسود رقية [2]

[1] جامعة مرسلي عبد الله، تيبازة – الجزائر، djenadi.zoulikha@cu-tipaza.dz

[2] جامعة مرسلي عبد الله، تيبازة – الجزائر، moussoud.reguia@cu-tipaza.dz

تاريخ الإرسال: 2024/10/16 تاريخ القبول: 2025/11/14 تاريخ النشر: 2025/12/11

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز دور القراءة في تعزيز المقاومة الثقافية التي تقوم بإذكاء القارئ، وذلك من خلال انفتاح نص: ألف ليلة وليلة على الأنساق الثقافية، والتاريخية، والاجتماعية للعالم الغربيّ.

توصلنا إلى أنّ القارئ الغربيّ قام بإنتاج نصوص جديدة لم تعهدها الثقافة الغربية، وهذا بعدما تأثّر بعض الأدباء الغربيين بهذا النص الذي تمّ ترجمته في الحروب الصليبية من طرف رجال السياسة بغية فهم العقل الشرقيّ.

كلمات مفتاحية: *القارئ الغربيّ؛ النص والآخر؛ إندماج الآفاق؛ التلقي العمودي؛ النص التراثي.*

Abstract

This study aims to emphasize the role of reading in strengthening cultural resistance that seeks to enlighten and empower the reader. It does so by exploring the openness of the text "*One Thousand and One Nights*" to the cultural, historical, and social contexts of the Western world. Our findings show that the Western reader created new literary forms previously unknown to Western culture after some European writers were influenced by this text, which had been translated during the Crusades by political figures seeking to understand the Eastern mind.

Keywords: *Western reader; text and the Other; fusion of horizons; vertical reception; classical text.*

المؤلف المراسل: جنادي زوليخة.

مقدمة:

تَكَشَّفَ نص ألف ليلة وليلة للقارئ الغربي من خلال حركة الاستشراق، عندما حاول رجال السياسة فهم العقل الشرقي عبر المادية اللّغوية، عندئذ انبهروا بقصصه، فقاموا بترجمته إلى عدّة لغات عبر أزمنة متفاوتة، لذلك تمظهرت جمالية التلقي العمودي لهذا النص في مختلف بقاع العالم، وهذا يرجع إلى القارئ الذي قام بنشاط تأويليّ جعله يكتمل في حركة إبداعيّة؛ حيث تحقّق هذا النّص عندما أثّر في الآداب الغربيّة، وفي كتاباتهم، وإنتاجا تهم الفنيّة.

حاولنا إبراز أهمية القراءة ودورها في إذكاء جمهور القرّاء من خلال دراسة نقدية لكتاب: أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية لعبد الجبار السمرائي، وهذا يقودنا إلى طرح إشكالية على محك منهجيّ نقديّ، إذن، كيف تمّ استنطاق تحوّل القراءة إلى مقاومة ثقافية في هذا المنجز النقديّ؟

حثا للخطى صوب مناقشة هذه الإشكالية نفترض ما يلي:

-لإبراز جمالية التلقي لنص ألف ليلة وليلة نفترض الإشارة إلى مبادئ نظرية التلقي، وإلى جهازها الاصطلاحي الذي يتعلّق بالسياق الثقافي للأدب الغربي.

- نظرية التلقي تركّز على الجماليّة، وعلى فعل الفهم في أيّة قراءة، وتكمن أهميّتها في كونها تنطلق من إشكالية تتعلّق بالمعنى، والعمل الأدبيّ، والوظيفة، وموقف المتلقي من العمل، وصلته به.

- تكشف القراءة والكتابة عن الأنساق الثّقافية المضمرةّ في النصوص والخطابات، وذلك بتفكيك الماديّة اللّغوية، وتعرية الإيديولوجية المجسّدة عبرها.

1. استقبال نص ألف ليلة وليلة في العالم الغربي:

1.1 تأثّر القارئ الغربيّ بنص ألف ليلة وليلة:

حدث احتكاك حضاري بين العرب والإسبان، فكانت الأندلس ذلك الجسر الذي نقل تراث العرب إلى أوروبا، وبرز ذلك في الشعر، والقصّة، والمسرح. تمظهر ذلك، عندما اتّصل العرب بأوروبا في أوائل القرن الثامن ميلادي في الأندلس، لذلك رأى **ياوس** بأنّ العمل الفنيّ يبقى دوما متعلّقا بالآخر؛ أي القارئ، الذي يعتبر ذاتا مدركة لذلك النّص.

تمظهر ذلك التأثير في المسرح الإسباني، وهذا ما أشار إليه الباحث **منتدث بيلايو MUNTADITH BILAYU** في كتابه: **أصول الروايّة؛** حيث تحدّث عن مسرحيتين كتبهما **كالدرون دي لابركا CALDERONE DE LA BARKA**، المسرحية الأولى الموسومة بـ: **إنّما الحياة حلم**، أما المسرحية الثانية فعنوانها: **ترويض الوقاح**، وكلاهما تشبهان حكاية **صحوة النائم** في ألف ليلة وليلة[1]، كما أثّرت في القصص الأوروبية، وفي أشعارهم، وآدابهم، حتى قال عنه أحد الباحثين الأوروبيين: " لم يفقه في شهرته غير التوراة لأنّه أكثر الكتب قراءة، وأوسعها خيالا، وأعظمها غرابة، وأحفلها بالأسطورة...لقد كان تأثيرها في نفوس الأوروبيين كبيرا إلى درجة أنّ بعضهم راح يؤلّف كتبا جديدة ...فهو يعتبر من روائع الأدب العالمي"[2]، فنص ألف ليلة وليلة يجسّد المبادئ التي جاءت بها نظرية التّلقي، ومساهمة القرّاء في إنتاج نصوص عديدة من نص واحد.

علاوة على ذلك، كان العامة تردّد أغاني شعبيّة بيزنطيّة تنشد من خلالها ملحمة تروي " أعمال الرجال العسكريين البيزنطيين الذين قتلوا في ميادين الحروب التي كانت بين العرب وبيزنطة، كملحمة **ديجنينس أكريتاس DIGENIS AKRITAS**"[3]، وهذه الملحمة تصوّر تلك الأحداث التاريخية البيزنطيّة؛ إذ "يُجمِع العلماء أنّ هذه الملحمة ترجمت ترجمة حرفيّة أو بتصرّف لبعض ليالي ألف ليلة وليلة"[4]. فالقارئ عند قراءته لهذه الملحمة يجد أنّها كرّرت تلك الأحداث التاريخية التي جاءت في كتاب: **ألف ليلة وليلة** المنفتح على النّسق التّاريخي، وهذا ما يعرف بأفق التّوقع عند المتلقي، كما أنّ الفهم الذي "يمتزج فيه الأفق الخاص للفرد بالأفق التّاريخي"[5]، هو ذلك الفهم الذي يتحقّق عندما يعود القارئ إلى المعايير التاريخية، والثقافية للأحداث الموجودة في النص.

وبالنسبة للمسرح الإنجليزي، تحدّث المؤلف عن مسرحيات **ويليام شكسبير WILLIAM SHAKESPEAR**، الذي تأثّر بحكاية: **صحوة النائم**؛ إذ توجد صلة بينه وبين حكاية "إنّما الحياة حلم في المسرح الإسباني"[6]، و"أشار **ترند** في تراث الإسلام إلى العلاقة بين موضوع الحكاية نفسها وبين مسرحية: **ترويض الشرسة لوليام شكسبير**، وبهذا يدخل القارئ في حالة حوار، ويسائل النّص من خلال طرح العديد من الأسئلة؛ حيث تتغيّر الأجوبة عبر الأزمنة، "وهناك مجال أوسع لمن يريد أن يعقد مقارنة مستفيضة بين روايات شكسبير وأبطالها وروايات ألف ليلة وليلة "[7]، وذلك بالتّركيز على ثلاثة عوامل، والمتمثلة في : التجربة

المسبقة التي اكتسبها الجمهور عن الجنس الذي ينتمي إليه النص، وشكل الأعمال السّابقة وموضوعاتها التي يفترض معرفتها، والتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العادية؛ أي التعارض بين الواقع والخيال.

2.1 دور نص ألف ليلة وليلة في إذكاء القارئ الغربيّ:

اهتمت نظريّة التّلقي اهتماما كبيرا بالقارئ، فهي تعتبره منتجا ثانيّا للمعنى بصور متعددة، ومختلفة، فالقارئ أو المتلقي المتذوّق قادر على الإنتاج، والتّحوير، والتّأويل بفضل استعداده المسبق، وهذا ما أشار إليه **فولفانغ أيزر Wolfgang Iser** في مفهوم السّجل، الّذي رأى: "أنّ النّص الجديد يذكّر القارئ بمجموع التوقعات، أو الأطر الشّكلية التي رسّختها في ذهنه النّصوص السّابقة، وعبر القراءات يتمّ تأكيد هذه التوقعات أو تصحيحها أو تغييرها أو ببساطة التّذكير بها"[8]. للقارئ سجّل يستجلبه أثناء القراءة وهذا ما يدل على أنّ للنّص سجله الخاص، لذلك يعتبر السّجل" مجموع المعايير الاجتماعية والتّاريخية والثّقافية التي يستجلبها القارئ كعدّة ضروريّة في قراءاته، وهي تشكّل قدرات القارئ في لحظة ما"[9]. على هذا الأساس، نستنتج بأنّ السّجل النصي هو مجموع الإحالات الضرورية كالنّصوص السابقة، والسياقات الخارجية، وكل ما اكتسبه القارئ من معارف قبلية تساعده على التّأويل عند قراءته للنّص.

كما كان نص: ألف ليلة وليلة سببا في إلهام **فولتير VOLTAIRE** أسلوبا جديدا في التّهجّم على الأوضاع السيّاسيّة، والاجتماعية في فرنسا، خاصة بعدما صنع النّظام الإقطاعي ذواتا تتحدّث بصوته كالإيديولوجية الدّينية التي أوهمت أفراد المجتمع بأنّهم خُلِقوا من أجل خدمة الأسياد، ثمّ انكشف أمرهم عندما تواصل المستشرقون مع المسلمين عبر الحروب الصّليبية، فاكتشفوا عدم وجود "طبقة رجال الدّين في البلدان المسلمة"[10]، "إذ أخذوا يصوّرون ملك فرنسا على صورة خليفة، والكنيسة بشكل جامع، فيهاجمون الملك، والكنيسة أشدّ هجوم"[11]، وتزامن ذلك مع ظهور حركة التنوير؛ حيث كان يتواصل الشّعراء، والمفكرون بينهم عبر الرّسائل المكتوبة خاصة بين الفرنسيين، والبريطانيين، الذين كانوا يتبادلون الأفكار من أجل تنوير العقول من إيديولوجية النظام الإقطاعي، ورجال الدّين الكاذبة، وهكذا بدأت ملامح نهاية النّظام الإقطاعي تظهر مع انتشار الوعي مع بروز الفلسفة العقلانية التي تأثّر بها أبرز المبدعين، الذين قاموا بنقد الدّين، وإيديولوجية الفكر الغربي الذي يخدم السّلطة السياسية، الأمر الذي يجعل من القراءة تتحوّل إلى مقاومة، وهذا هو فعل القراءة الذي يتجلّى بعد الوعي الذي تنشره الكلمات الهادفة في ذهن القارئ التي تفعل فعلها

في الواقع كاندلاع الثّورة الفرنسية في 14 جويلية 1789م، التي سُبِقت بمقاومة ثقافية تمظهرت في الشعر، والمسرح ...وغيره من الفنون.

آنذاك رُفعت شعارات الحريّة، والمساواة، فسقط النّظام الإقطاعي، وظهرت حركة التنوير، التي تتصف "بالإيمان الوثيق بقدرة العقل على حل المشكلات الاجتماعية، والفكرية، والعلمية"[12]، بعيدا عن أفكار الكنيسة اللاّهوتية، "لأنّ أثر رجال الدّين الإيديولوجيين على المجتمعات الفكرية قد كان كاسحا نتيجة انكبابهم على البحث في فقه ما يعين إدارة شؤون النّاس"[13]، لأنّهم كانوا يغيّرون الحقائق، ويستغلون السّلطة الدّينية لمصالحهم الشّخصية في عهد **لويس السادس عشر(LOUIS XVI)** في فرنسا، غير أنّ الوضع تغيّر بانتشار الوعي بعدما تأثّر أغلب الأدباء بالفلسفة العقلانية، وفي هذا الصدد قال **فولتير(VOLTAIRE)** في تصريح شهير عن الدّيانة المسيحية: "اسحقوا هذا العار"[14] عندئذ سُجن في معتقل(**باستيل**)[15] الموجود في فرنسا الذي كان من أقوى أجهزة السّلطة الحاكمة، وأُسّس من أجل قمع كل من يفكّر في التّمرّد على الحكم.

2. النسق التاريخي ونص ألف ليلة وليلة:

1.2 التلقي العمودي لنص ألف ليلة وليلة:

بالنسبة لتلقي النّصوص عبر الأزمنة، فإنّ نص: "**ألف ليلة وليلة**" اتخذ قيمته التّاريخيّة في العالمين الشّرقيّ والغربيّ، وهذا ما أشار إليه **عبد الجبار محمود السمرائي** في مؤلّفه: **أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية**؛ حيث أشار فيه إلى أهميّة هذا النّص الذي تُرجم إلى عدّة لغات، وتمّ اكتشافه من طرف الأوروبيين أثناء الحروب الصّليبية التي كانت تُشّن ضد العالم الشّرقي؛ حيث "كان التفات الغرب الأوروبيّ إلى حكايات ألف ليلة وليلة يتجدّد كلّما تجدّد إحساسه بوجود الشّرق، كيفما كانت ألوان هذا الإحساس، فالغرب أحسّ وجود الشّرق إحساسا قوّيا بعد الحروب الصّليبيّة"[16]، كما تُرجم إلى الفرنسيّة في أوائل القرن الثّامن عشر من طرف أديب في السّلك السّياسي يدعى **أنطوان جالان ANTOINE GALLAND**؛ حيث تصرّف في حكاياته، فأقبل عليها العديد من القرّاء من بلدان مختلفة من موسكو، ومدريد، ولندن، وغيرها من الدّول[17]، كما أشار الكاتب إلى دور نص ألف ليلة وليلة في انحدار الكلاسيكية الفرنسية، وظهور الرّومانسيّة كما غيّر في أفكار كل من " **فولتير، وديدرو، وجان جاك روسو، ومونتيسكيو**؛ وذلك بجعلهم يتهجّمون على الأوضاع السّياسيّة، والاجتماعية في فرنسا، وقارنوا بين الخليفة هارون الرّشيد، وديمقراطيته، وبين الملك لويس

الرّابع لفرنسا، الذي كان رمزا للملك الطّاغية؛ فكان هارون الرّشيد يتنكّر في الأسواق ليطّلع على أحوال رعيّته، فينصف المظلوم، ويعين الفقير، ويوزّع الهبات على مستحقيها[18]، وهكذا اكتشف المستشرقون حقيقة الإسلام، غير أنّ البعض منهم لم يعترف به لمركزيّة تفكيرهم، بل استفادوا منه، فأخذوا ما يفيدهم، ونقلوه إلى بلدانهم، وعملوا على تطويره.

علاوة على ذلك، صار نص: "**ألف ليلة وليلة**" محلّ اهتمام الكثير من القرّاء خاصة عندما أثبت الكثير من الباحثين في المجال الأدب المقارن بأنّ الغرب استعان بهذا النص في إبداعه للملاحم والروايات

و المسرح، كما ساهم في الانفتاح على تاريخ الشّرق، الأمر الّذي جعل من المستشرق **جون براند ترند JAHN BRAND TREND** يكتشف الصلة الّتي تربط **ألف ليلة وليلة** بسيرة **الفارس سيفر**، وهو كتاب في الفروسيّة، أمّا المستشرق **كوسكانّ KOSKANA** فقد أشار إلى مجموعة **قصص الديكامرون** التي كتبها جيفاني **بوكاتشيو Giovanni Boccacio** الإيطالي، الذي تأثّر بألف ليلة وليلة في تلك المجموعة القصصيّة؛ حيث كُتبت بالطريقة التي كُتب بها نص ألف ليلة وليلة[19]، وهنا يتجلّى اندماج الآفاق عبر التاريخ الذي يساهم في إنتاج نصوص جديدة، بعدما ينفتح النصّ على السّجل التاريخي، فيعطي تلك المسافة الجمالية بين النّصوص عبر الأزمنة المختلفة.

2.2 جمالية التلقي واندماج آفاق نص ألف ليلة وليلة:

اهتم **هانس روبرت ياوس** Jau**Robert Hans** بأفق توقع القارئ أكثر من أفق الانتظار، وهذه التّوقعات "تحتلّ ذهنه أعمال حديثة تنكر التّقليد بالمقارنة مع الأعمال الكلاسيكية من جهة والأدب الحديث الذي يصدم توقعات القارئ"[20]، وهي عبارة عن تلك اللّحظات السّلبيّة التي تخلق عند المتلقي ردة فعل " فالمتلقي عندما يتناول نصا أدبيا لا تتوافق سماته مع الصوّر الفعليّة المألوفة عنده، فإنّه يصطدم بلحظة الخيبة "فنستعمل مفهوم أفق أو خيبة التوقع، أما التماهي فهو موافقة أفق انتظار القارئ لأفق النص"[21]، فتغيير الأفق يعتبر صدمة جمالية للمتلقي التي تخالف أفقه فينشأ أفق جديد، يعدّ "الرّكيزة المنهجية في نظرية الاستقبال؛ بحيث أخذ مصطلح (أفق) من غدامير"[22]، وبالنسبة لأفق توقع القارئ الفرنسي. يقول المؤلّف: "ظنّ الفرنسيون ومن أخذ عنهم الثّقافة أنّها صورة صادقة تنعكس عليها حياة الشّرقيين، وأضافوها إلى عجائب الرّحلات، واعتمدوها وصفا للفردوس الأرضي"[23]. فالقارئ عندما يجد في النّص ما يخالف توقعاته

التّي تشكلت حول ذلك الجنس الأدبي خلال قراءاته السابقة، تحدث عنده خيبة توقع، لذلك يقوم بتغيير أفقه الذي اكتسبه من قبل فيجدّد أفقه حول ذلك الجنس الأدبي، لذلك "صدّق جمهور القرّاء الفرنسيين قول **جالان** : أنّ ألف ليلة وليلة هي الشرق بعاداته، أخلاقه وشعوبه الخاصة، وأنّها الصورة الصادقة له...ولا نبالغ إذ أرجعنا جانبا من حركة الاستشراق وانتشارها إلى ما ترك هذا الأثر الخالد في نفوس أهل الغرب"[24]، وعليه تتحرك آلية القراءة، فينشأ حوار خاص بين الأفقين، لذلك "كان الشرق يبدو للغرب كأنّه عالم الرفاهية والثروة والترف ...وذلك لمهارة القاص في سرد قصصه"[25]. استنادا لهذا القول نستنتج، بأنّ السارد قام بالتصرف في الكتاب مما زاد من جمالية النّص" بما يضفيه على الواقع من بحر الخيال ومما زاد في تركيز صورة الشّرق السّحرية في أذهان الغربيين قصص الأدباء المتأدبين من زائريه الذين مزجوا ما شاهدوه في قصور الملوك، والسلاطين ...أو وجدوا التّفاصيل الواقعة التي تصف أسواق الشّرق وبيوته"[26] .كما يصوّرها كتاب ألف ليلة وليلة حقيقة واقعية فظنّوا أن صورة المجتمع بأجملها كما جاءت في الكتاب، بينما الأفق الذي ارتسم في ذهن القارئ الغربي هو أنّ" مجتمع الشرق يزخر بالجن والسّحرة، شرق الخلفاء والقضاة والمتصوّفة شرق الكنوز الرّائعة والمغامرات المذهلة شرق الخوارق والحضارة"[27]. وفي هذا الصدد، تكوّن هذا الأفق عبر قراءات متعدّدة للنصوص المختلفة فهو المعيار الذي يستخدمه المتلقي لتسجيل رؤيته.

وعليه فالحكايات الغربية التي لها صلة بهذا النّص حكايات: **الإخوان جرم** ؛ حيث يشير الكاتب إلى أنّه توجد صلة كبيرة بينها، وبين قصصه، وفيها اعترف المؤلفان وهما الأخوان **جرم يعقوب وفلهلم CRIME JACOB AND WILHLEM**" أنّهما استمدا من قصص ألف ليلة وليلة أصول ثماني حكايات وهي : الصياد وزوجته، الماكر وسيّده، ستة يرّعون الدّنيا، جبل الذّهب، الطيور الثّلاثة، عين الحياة، الرّوح في الزجاجة، جبل سميلي مأخوذة من حكاية: علي بابا والأربعين حراميا"[28]، وهذا يتطابق مع التلقي العمودي الذي تحدّث عنه **ياوس**؛ أي آفاق الماضي، وعلاقتها بالأفق الحاضر بعد أن يستجمع القارئ نصوصه، أو تاريخ الجنس الذي يمثلها.

وفي نفس السياق، فالتلقي يمكنه أن يعطي جمالية للنص من خلال التعارض الذي يكون بين الآفاق، وهي المسافة الموجودة بين أفق الانتظار الموجود والعمل الجديد، و"يمكن قياس هذه المسافة بردود الأفعال عند القراء بأحكام النقاد"[29]، نجد بأنّ المسافة الجمالية تنشأ عندما لا يتوافق أفق النّص مع أفق القارئ، ومن ناحية أخرى " أتاحت ألف ليلة للقارئ الأوروبي سبيل الهروب إلى عالم غريب يبدو متحررا من كآبة عالمه النّاجمة عن التّقاليد المتعنتة الكلاسيكية التي كانت تثقل كاهله، بالضبط كما كانت سماء

الشّرق صافية تتجلّى بالمقارنة بسماء أوروبا المتلبدة بالغيوم"[30]، وبهذا فتحت ألف ليلة وليلة آفاقا جديدة للتخيّل لدى الإنسان الغربيّ برغم أنّ" تلك القصص نفسها كانت من صنع الخيال غير العقلي فإنّها ساعدت على تهيئة عقول عامة الناس لعقلانية العصر المستنيرة، وانتشر تأثيرها الفكري الشّامل بشكل واسع في كل أوروبا"[31]، وهنا تحدث ردّة فعل للقارئ الذي يقوم بإطلاق أحكام وتأويلات على ذلك النّص فيعطيه جمالية أكثر لأنّ المتلقي يبدع أثناء بنائه للمعنى الجديد للنص.

3. القراءة ونشر الوعي:

1.3فعل القراءة وجمهور القراء:

يتأسّس هذا المفهوم على القارئ الضمني، وهو " تجسيد الرؤى التّخطيطية للنّص، فتسمو لغته على اللّغة العاديّة، فيعطي صورة متكاملة للشخوص والأحداث، ويملأ الفراغات لتكوين انسجام انطلاقا من عناصر مبعثرة وناقصة. إذن، " فعل القراءة هو مفتاح شفرة النص"[32]، ويتحقّق في النّص من خلال ملأ البياضات، وتأويل العبارات والشخصيات، وهذا ما يسمى بالتلقي الأفقي؛ أي التفاعل بين القارئ والنّص، وهذا ما لمسناه في هذه الدّراسة عندما قام نص: **ألف ليلة وليلة** بعرض صور رائعة أثّرت في المتلقي الغربي خاصة الجمهور الفرنسي، ففي أيام القرن الثامن عشر قارن "الفرنسيون بين عالم ألف ليلة وليلة المؤطر بالدّيمقراطيّة، وعالم الكنيسة الكاثوليكية المليء بالكبت والظلم، والاستبداد"[33]، حينها كان الحكام في فرنسا يستعينون برجال الدّين المسيحيين من أجل بسط سيطرتهم على الرّعيّة، غير أنّ للقراءة دورا كبيرا في توعية الفرد أو تنبيهه إلى أمر كان غافلا عنه.

هذا ما اكتشفه القارئ الغربي الذي وجد معنى الدّيمقراطية في نص: "**ألف ليلة وليلة**" من خلال عدالة الملك **هارون الرشيد**، لأنّ الدّيمقراطية يصعب فهمها في فترة غرست فيها السّلطة الحاكمة صورة نمطية عن قوة الأنظمة الحاكمة التي يستحيل مقاومتها، ولكن جمهور القراء الغربيين غيروا الكثير من مواقفهم عند قراءتهم لكتاب: "**ألف ليلة وليلة**"، وجدوا "فارق بين الخليفة هارون الرشيد الذي كان يطوف في الأسواق، والشّوارع متنكّرا ليطّلع على أحوال رعيّته، فينصف المظلوم، ويوزّع الهبات على مستحقيها، وبين الملك لويس الرّابع عشر الذي يقول: أنا المملكة، ولويس الخامس عشر الذي يقول: فليكن بعدي الطوفان"[34]، اكتشف جمهور القراء الفرق بين الملوك العرب آنذاك، والملوك الفرنسيين الذين اشتهروا بالغطرسة، والطغيان بينما كان

هارون الرّشيد يتفقّد حال رعيّته، ويطمئن على أحوالهم في المقابل كان الملك الفرنسي غاطسا في أنانيته متمتعا بثروته غير مهتم بشعبه الذي كان غارقا في الفاقة والجوع.

وفي نفس سياق الدراسة، اتفق **فولفانغ أيزر Wolfgang Iser** مع **رومان انجاردن Roman Ingarden** حول فكرة أنّ النّص لا يكتمل إلا بالقراءة، فالنّص مكوّن من بياضات، وثغرات، ونقائص، وتصدعات يتم سدّها وإصلاحها عن طريق القراءة ومنه فالأثر الأدبي له قطبان[35]: "**القطب الفني، وهو** نص المؤلف، و**القطب الجمالي** المتمثّل في المنجز المتعلّق بالقارئ "؛أي أنّ المعنى ينتج من خلال قراءة النّص والتأويل الذي يعكس تجربة القارئ الواعي الذي يساهم في إنتاج الجانب الجماليّ، الذي يؤدي إلى إبداع نصوص لا تتطابق مع نص: "**ألف ليلة وليلة**" غير أنّ أثره يبقى بارزا لأنّ القراءة وقعت في منتصف الطّريق بين القطبين الفنيّ والجماليّ، وبهذا يمكن أن يغيّر القارئ أو يتصرّف في النّص الأوّل، وهذا ما لمسناه عند القارئ الغربي الذي استقبل نص: "ألف ليلة وليلة"، فالكاتب الإيطالي **جيوفاني بوكاتشو** الذي كتب قصص: **الدّيكامرون،** نسجها على منوال قصص ألف ليلة وليلة حيث انتقل الرّاوي من حكاية إلى أخرى، " ولم يعرف الأوروبيون هذا الإطار المألوف في القصّة الشرقيّة إلاّ بفضل ترجمة ألف ليلة وليلة "[36]، وهذه الحكايات تقدّم نقدا للمجتمع الغربي خاصة الفساد الأخلاقي الذي كان بين الرهبان والقساوسة المسيحيين، ويشير الباحث إلى ذلك الفارق البارز الموجود بين نص: **ألف ليلة وليلة** وقصص: **الديكامرون،** فهو يكمن في القارئ الضّمني، الذي تمّ استنساخه من مفهوم المؤلف الضمني؛ حيث يقول **أيزر**:"إنّه حامل لكلّ الاستعدادات اللاّزمة كي يترك العمل الأدبي أثره، وتوجد استعدادات منحت ليس عبر حقيقة تجريبيّة لكن عبر النّص نفسه"[37]، لذلك سيكون من السّهل لقصص: "**ألف ليلة وليلة**" و"**الدّيكاميرون**" التأثير في الفئة التي تعرّضت للخيانة من الطرف الآخر، "فالأوّل كُتب لتطييب خواطر **الرّجال** الذين تخونهم زوجاتهم بينما الثاني على العكس من ذلك، فهو كتب لجبر خواطر النّساء إزاء خيانة الرّجال"[38]. القارئ الضمني لنص: "**ألف ليلة وليلة**" يتمثّل في الرجال الذين تعرّضوا للخيانة من طرف زوجاتهم، بينما القارئ الضمني لقصص: "**الديكامرون**"، فهو يتمثّل في النساء اللّواتي تعرضن للخيانة من طرف أزواجهم، علاوة على ذلك، يقول **أيزر**:"جذور القارئ الضمني كمفهوم مزروعة بقوة في بنية النّص، وليس ظاهرة كونه رديفا للقارئ الفعلي، وبالمعنى الدّقيق هو عبارة عن دليل يمشي على هديه القارئ الواقعي وبالتّالي يتأسّس فعل القراءة"[39]، وهنا يكمن دور القارئ الضّمني الذي يقوم بإرشاد القارئ الفعلي لكي لا ينحاز كليا إلى ذاتيته أثناء بناء المعنى،

وهذا ما حدث للملك **شهريار** الذي تراجع عن فكرة الانتقام بعدما استمع إلى القصص التي سردتها عليه **شهرزاد** بطريقة ذكيّة فعلت فعلها في ذهنه.

2.3 قارئ نص ألف وليلة وإنتاج المعنى:

مؤلّف نص "ألف ليلة وليلة" لم يكن يعرف مصير هذا النص لأنّه وقع في يد العديد من القرّاء منهم القارئ الساذج، والخبير والموسوعي والنموذجي، فالقراء أنواع منهم قراء أبدعوا بعد قراءته نصوصا جديدة ساهمت في تغيير واقعهم الاجتماعي أمثال: **فولتير، وشكسبير وجيوفاني بوكاتشو** لأنّهم كانوا يمتلكون أدوات قراءة اكتسبوها من خلال تجاربهم القرائية، جعلتهم ينتجون معان جديدة وفق قصديتهم الخاصة، إضافة إلى أعمال هؤلاء نذكر، ملحمة: **النيون مجليد** التي "ظهرت في جنوبي ألمانيا خلال القرن الثاني عشر من الملاحم والخوارق التي في "ألف ليلة وليلة" تروي قصة طائفة أقزام يحكمهم ملك نيبلونج استطاعوا أن يستولوا على كنز بنات الراين"[40]، إضافة إلى ذلك تم تشكيل إبداع العديد من الأعمال الإبداعية، كحكاية: **الفاري الغلام صاحب الحكاية؛** حيث كان " لألف ليلة وليلة أثر في القصة خلال القرن الخامس عشر، فنجد له صدى في القصة الإنجليزية، ويعود فضل اكتشاف هذا الأثر الشفاهي في المستشرق البروفسور **كب CUP،** فقد أردف كلامه ... حكاية الفارس الغلام ليست غير واحدة من قصص ألف ليلة وليلة التي يحتمل أن تكون جاءت إلى أوروبا على أيدي التجار من إقليم البحر الأسود"[41]. هذا الإبداع كان نتيجة لفعل القراءة الذي يساهم في إنشاء تخييل و" عملية إيهام موجّهة تهدف إلى إثارة المتلقي، مقصود سلفا، وتبدأ بالصّور المخيّلة، ...، تُحدِث العملية فِعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزنة، والمتجانسة مع معطيات الصّور المخيّلة، فتحدث الإثارة المقصودة"[42]، وبهذا تم إنتاج هذه الملحمة نتيجة للتّخييل الذي تشكّل في ذهن القارئ.

وبالنسبة لتأثير هذا النّص على المسرح "فمنذ القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر، كان الأدب الإسباني حافلا بمظاهر التأثر العميق بمجموعات القصص العربية : ألف ليلة وليلة وغيرها فقد كانت تتناقل شفاها في الأوساط الإسبانية الشعبية"[43]، وكما اكتشف القرّاء "روايات تختلط فيها المقامات العربية بمجموعة ألف ليلة ليلة وغيرها ...بعض الشخصيات النسائية في قصص الشطارة التي بلغت أوجها في القرن السابع عشر مثل زينب النصابة، دليلة المحتالة"[44]، من الذين تأثروا بحكايات "ألف ليلة وليلة" "الشاعر القصصي الألماني **كرستوف ماري فيلند CHRISTOPH MARIE WIELAND** الذي استمد من هذا الأثر العربي

قصائده الكبرى، ومن بين تلك القصائد قصيدته الطويلة : حكاية الشتاء وقد ذكر صراحة أنّها عن حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة المأخوذة من حكاية الصياد والعفريت"[45]، وهنا يبرز دور الذّات في إنتاج المعنى وهو الدّور الذي يقوم به القارئ في إعادة الإنتاج، فهو يلعب دورا مهما في فك شفرات النّص، وبما أنّ نص: "**ألف ليلة وليلة**" مليء بالألغاز، فهو يحتاج إلى قارئ متمرّس، وإلى ذات مستقبلة، ومدركة تعمل على سد ثغراته.

خاتمة:

–يصلح إضاءة بعض مفاهيم نظريّة التلقي بدراسات نقديّة، وهذا ما تمظهر في دراستنا لكتاب: **عبد الجبار محمود السمرائي** في مؤلّفه: **أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية؛** حيث تكشّف نص ألف ليلة وليلة لجمهور القرّاء في العالم الغربيّ من خلال القارئ، الذي قام بنشاط تأويليّ جعله يكتمل في حركة إبداعيّة؛ حيث تحقّق هذا النّص عندما أثّر في الآداب الغربيّة، وفي كتاباتهم، وإنتاجا تهم الفنيّة، كما ترجم إلى لغات عديدة في مختلف بقاع العالم.

– يظل القارئ فاعلا، ومنفعلا مؤثّرا، فهو الأداة الثانية في تفسير النّص وتركيبه من جديد، وبهذا ستبقى عملية القراءة عملية أخذ وعطاء، أخذ من النّص، وعطاء من قبل المخزون الأدبي، والثقافي للقارئ، وهكذا يتفاعل النّصان الغائب والماثل من أجل إنتاج نص جديد، وهذا ما تجسّد، وتمظهر في الأعمال الإبداعية الأوروبيّة، التي تأثّرت بنص: ألف ليلة وليلة.

–أثّر نص ألف ليلة وليلة في الأدب الغربي بفعل القراءة التي ساهمت في إنتاج نصوص، وأعمال إبداعية عند أبرز الأدباء الغربيين، منهم من تصرّف في قصصه ونسج على منوالها حكايات جديدة تتماشى والثقافة الغربية، ومنهم من ترك القصص كما هي، وتم اكتشاف ذلك من خلال المقارنة، والتناص بين الأعمال الغربية، والنص الأصليّ.

– إن للقارئ سجلاّ يستجلبه أثناء القراءة وهذا ما يدلّ على أن للنّصّ سجلّه الخاص.

– نستخلص بأنّ النّص أثر يمكن ممارسته لذلك فمهمة التأويل عند "**أيزر**" هي تفجير الطاقات الدّلالية والاحتمالية الكامنة في النّص.

– إنّ التأويل لا يتحقق بإعمال العقل فقط، وإنما بتعاون مع الذّات فيتحقّق التّأويل بواسطة التّخييل.

من التوصيات التي يمكن ان نقترحها:

– فتح فرقة بحث تهتم بالبحث عن المنطلق الأساس للأعمال الإبداعية التي تتعلّق بالتراث، والأخذ بالنظريات التي تخدم واقعنا.

–استعمال المرجعيات الفلسفيّة، كأدوات لإعادة قراءة نظرية ما بعد الحداثة بهدف التفريق بين الانفتاح، والانزلاق، والاستفادة البصيرة، والتبعية الصّماء، وبين المثاقفة المبصرة، والمحاكاة العمياء، ويعطينا القدرة على رسم درجات الالتحاق بالرّكب الحضاري مع الحفاظ على الهويّة.

الهوامش والإحالات:

[1]– عبد الجبار محمود السمرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، منشورات دار الجاحظ للنشر، د.ط، بغداد، 1982، ص: 30، 31، 32، 34.

[2]– المصدر نفسه، ص: 135، 136، 137، 138، 139.

[3]– المصدر نفسه، ص: 18.

[2]– المصدر نفسه، ص: 54.

[5]– روبرت هولب، نظرية التلقي: مقدمة نقدية، تر: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية العربية للطباعة و النشر، د.ط، د.ت، ص: 77.

[6]– عبد الجبار السمراني، أثر ألف ليلة وليلة في ألأدب الأوروبي، المصدر نفسه، ص: 72.

[7]– المصدر نفسه، ص: 47.

[8]– أنطوان كومبانيون: شيطان النظرية: الأدب والمعنى العام، تر: بلقاسم عيساني، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2018، ص: 227.

[9] – المرجع نفسه، ص:167.

[10]– مصطفى مسلم و فتحي محمد الزغبي، الثقافة الإسلامية: تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها، إثراء للنّشر والتّوزيع، ، ط1، عمان، 2007، ص: 102.

[11]–عبد الجبار محمود السمرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، المصدر نفسه، ص: 10.

[12]– ادجار و بيتريدجويك، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم و المصطلحات الأساسية، تقديم محمد الجوهري، تر: هناء الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع أميرية، ط2، القاهرة، 2014، ص:22.

[13]– عبد القادر مهداوي، المعنى الثاني مأزق التّفكيكية والنص، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2020، ص29.

[14] المرجع نفسه، ص: 226.

[15]– لويس عوض، الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 1992، ص: 7.

[16]– عبد الجبار محمود السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، المصدر نفسه، ص: 6.

[17]–المصدر نفسه، ص: 7.

[18]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[19]– المصدر نفسه، ص: 22، 23، 24، 25.

[20]– المصدر نفسه، ص:228

[21]– ياوس، جمالية التلقي، تر: رشيد بنحدو، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004، ص: 122.

[22]–كلارا سروجي شجروي: نظرية الاستقبال في الرواية العربية الحديثة: دراسة تطبيقية في ثلاثيتي نجيب محفوظ و أحلام مستغانمي، ط1، مجمع القاسم للغة العربية وآدابها، 2011، ص: 11.

[23] عبد الجبار السمراني أثر الف ليلة في ألأدب الأوروبي، المصدر نفسه، ص 7.

[24]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[25]– المصدر نفسه، ص: 8.

[26]–المصدر نفسه، .

[27]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[28]– المصدر نفسه، ص: 45.

[29]– فاطيمة بومعزة، نظرية القراءة والتلقي – مرجعيات و مفاهيم – مجلة الن (1)ص، العدد 22، ديسمبر، 2017، ص:86.

[30] –عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة في لأدب الأوروبي، المرجع السابق، ص: 9.

[31]–االمصدر نفسه، ص: 9.

[32]– فولفانج أيزر، آفاق استجابة القارئ، تر:أحمد بو حسن و محمد مفتاح، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ط1، المغرب، 1995، ص: 211.

[33]– عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في ألأدب الأوروبي، المصدر نفسه، ص: 11

[34]– المصدر نفسه، ص: 13.

[35]– فولفانغ أيزر، عملية القراءة (مقترب ظاهراتي)، تر: حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 1999، ص: 113.

[36]– عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في ألأدب الأوروبي، المصدر نفسه، ص: 35.

[37]– أنطوان كومبانيون، شيطان النظرية، الأدب والمعنى العام، المرجع نفسه، ص:16.

[38]– المرجع نفسه، ص: 36

[39]– المرجع نفسه، ص:162.

[40]– عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبيّة، المصدر نفسه، ص:27.

[41]– المصدر نفسه، ص: 38

[42]–جابر عصفور، مفهوم الشّعر: دراسة في التراث النّقدي، الهيئة المصرية للكتاب، ط 5، القاهرة، 1995، ص: 196.

[43]– عبد الجابر السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، المصدر نفسه، ص: 40.

[44]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[45]– المصدر نفسه، ص: 58.

قائمة المصادر والمراجع:

–الكتب:

– عبد الجبار محمود السمرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، منشورات دار الجاحظ للنشر، د.ط، بغداد، 1982.

–روبرت هولب، نظرية التلقي: مقدمة نقدية، تر: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية العربية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت .

–أنطوان كومبانيون: شيطان النظرية: الأدب والمعنى العام، تر: بلقاسم عيساني، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2018.

–مصطفى مسلم وفتحي محمد الزغبي، الثقافة الإسلامية: تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها، إثراء للنّشر والتّوزيع، ، ط1، عمان، 2007.

–ادجار وبيتريدجويك، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، تقديم محمد الجوهري، تر: هناء الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع أميرية، ط2، القاهرة، 2014.

–عبد القادر مهداوي، المعنى الثاني مأزق التّفكيكية والنص، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2020.

–لويس عوض، الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 1992.

–ياوس، جمالية التلقي، تر: رشيد بنحدو، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004.

–كلارا سروجي شجروي: نظرية الاستقبال في الرواية العربية الحديثة: دراسة تطبيقية في ثلاثيتي نجيب محفوظ وأحلام مستغانمي، ط1، مجمع القاسم للغة العربية وآدابها، 2011 .

–فولفانج أيزر، آفاق استجابة القارئ، تر: أحمد بو حسن ومحمد مفتاح، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، المغرب، 1995 .

–فولفانغ أيزر، عملية القراءة (مقترب ظاهراتي)، تر: حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 1999.

-جابر عصفور، مفهوم الشّعر: دراسة في التراث النّقدي، الهيئة المصرية للكتاب، ط 5، القاهرة، 1995 .

–المجلة :

-فاطيمة بومعزة، نظرية القراءة والتلقي – مرجعيات ومفاهيم – مجلة الن (1)ص، العدد 22، ديسمبر، 2017.

-موقع الأنترنت: عبد الجبار محمود السامرائي، الأرشيف- عبد الجبار محمود السامرائي، :
http://www archive.alsharekh.org